٣- الذكر والباقيات الصالحات

- مقدمة
- ما هي الباقيات الصالحات
- فضل الباقيات الصالحات
- فضل لا إله إلا الله
- فضل الذكر
- أفضل الذكر القرآن الكريم
- الخطبة الثانية

جاء رجل إلى الصحابى الجليل أبى الدرداء وقال له: يا أبا الدرداء لقد احترقت دارك.

فقال أبو الدرداء بلسان اليقين، ومنطق الحق المبين: ما كان الله ليفعل بى ذلك.

فلما ذهبوا ليستطلعوا حقيقة الأمر وجدوا أن النار قد حرقت ما حول دار أبى الدرداء، ولكنها وقفت عند داره فلم تصبها.

إذًا لابد من استكشاف الأمر من أبى الدرداء . . لماذا تكلمت يا أبا الدرداء بكل هذا اليقين وتلك الثقة؟.

فقال لهم: لقد علَّمنى رسول الله ﷺ دعاءً إذا ما قرأته وقانى الله شر السوء طول يومى . .

إذًا فقد صرف أبو الدرداء روشتة الدواء من صيدلية الحبيب محمد.

فما هو الدواء وما هو هذا الدعاء؟.

قال: «**اللهم أنت ربى، لا إله إلا أنت، عليك توكلت، وأنت رب العرش العظيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . . ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن . . أعلم أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا . .**

وأحصى كل شيء عددًا . . اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم».

- وللأمانة العلمية فقد قال ابن باز: الحديث ضعيف، ولكن إذا عمل به المسلم رجاء أن ينفعه فهو ذكر طيب، وذكر عظيم.

يقول تعالى:

﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦].

نعيش اليوم مع الباقيات الصالحات التى تقوم كلها على ذكر الله تعالى . .

﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرّعد: ٢٨] تطمئن القلوب فى الدنيا والآخرة . .

ما هى الباقيات الصالحات؟.

- يجيب على هذا السؤال سيدنا محمد ﷺ، فيما رواه أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه «**خذوا جُنَّتكم**» بضم الجيم وتشديد النون وفتح التاء.

قلنا: يا رسول الله من عدو قد حضر؟ قال: «**لا، بل جنتكم من النار**».

كيف يا رسول الله؟ قال:

«**قولوا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإنهن يأتين يوم القيامة منجيات ومقدمات وهن الباقيات الصالحات**». رواه الحاكم والنسائى وصححه الألبانى.

فما هو فضلهن؟.

(١) الباقيات الصالحات هن أحب الكلام إلى الله تعالى:

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«**أحب الكلام إلى الله تعالى أربع، لا يضرك بأيهن بدأت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**». صحيح مسلم.

(٢) الباقيات الصالحات أحب إلى النبى ﷺ من الدنيا وما فيها:

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«لأن أقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلَّى مما طلعت عليه الشمس». صحيح مسلم.

(٣) الباقيات الصالحات مكفرات للذنوب:

عن انس ﷺ أن رسول الله ﷺ مر بشجرة يابسة الورق فضربها بعصاه فتناثر الورق فقال ﷺ:

«إن الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لتساقط من ذنوب العبد كما تساقط ورق هذه الشجرة». الترمذى وحسنه الألبانى.

(٤) الباقيات الصالحات ثقيلات فى الميزان:

عن أبى سلمى ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«بخ بخ «بفتح الباء» وأشار بيده بخمس ما أثقلهن فى الميزان: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، والولد الصالح يتوفى للمرء المسلم فيحتسبه». النسائى والحاكم.

(٥) الباقيات الصالحات يشفعن عند العرش:

عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن مما تذكرون من جلال الله: التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، ينعطفن حول عرش الرحمن، لهن دَوِىٌّ كدَوِىِّ النحل، تذكر بصاحبها، أما يحب أحدكم أن يكون له من يُذَكِّر به». أحمد وابن ماجه والحاكم.

(٦) الباقيات الصالحات غرس الجنة:

عن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

«لقيت إبراهيم ليلة أُسْرِىَ بى، فقال: يا محمد أقرئ أمتك منى السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر». الترمذى والطبرانى.

كلما قلتها كأنما غرست شجرة فى حديقتك فى الجنة.

(٧) الباقيات الصالحات صدقة:

عن أبى ذر ﷺ قال:

إن ناسًا من أصحاب الرسول ﷺ قالوا: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور . . يصلون كما نصلى، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم - يريدون أن يقولوا إنهم لا يجدون ما يتصدقون به.

قال: «**أوليس الله قد جعل لكم ما تصدقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة . . . .**» إلى آخر الحديث. صحيح مسلم.

(٨) الباقيات الصالحات يعدلن عتق الرقاب والجهاد:

عن أم هانئ بنت أبى طالب قالت:

مر بى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، إنى قد كبرت وضعفت، فمرنى بعمل أعمله وأنا جالسة . . .

فقال: «**سبحي الله مائه تسبيحة، فإنها تعدل لك مائة رقبة تعتقينها من ولد إسماعيل . . واحمدي الله مائة تحميدة تعدل لك مائة فرس مسرجة ملجمة تحملين عليها فى سبيل الله . . وكبِّرى الله مائة تكبيرة فإنها تعدل لك مائة بدنة مقلدة مُتقبَّلة . . وهللى مائة تهليلة تملأ بين السماء والأرض، ولا يُرفع يومئذ لأحد عمل إلا أن يأتي بمثل ما أتيت به**». رواه أحمد وحسنه الألبانى.

(٩) الباقيات الصالحات فى منزلة القرآن لمن لا يحسنه:

عن ابن أبى أوفى رضي الله عنهما قال:

جاء رجل إلى النبى ﷺ وقال:

يا رسول الله إنى لا أستطيع أن أتعلم القرآن فعلمني شيئًا يجزيني . . .

قال: «**تقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله**».

فقال الأعرابي: هكذا . . وقبض بيده . . ثم قال: هذا لله، فما لى؟.

قال: «**تقول: اللهم اغفر لى، وارحمني، وعافني، وارزقني، واهدني**».

فأخذها الأعرابى، وقبض يده الأخرى، فقال النبي ﷺ:

«**أما هذا فقد ملأ يديه بالخير**». أبو داود والنسائى والدارقطنى وحسنه الألبانى.

هذا هو فضل الباقيات الصالحات، وفضل ذكر الله بهن، ولكن أفضلهن على الإطلاق:

لا إله إلا الله:

- فهى كلمة التوحيد التى لأجلها خلقت الخليقة، وأرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وبها افترق الناس إلى مؤمنين وكفار، وسعداء وأشقياء، وأهل للجنة وأهل للنار . .

- هى العروة الوثقى، وكلمة التقوى، وكلمة الشهادة، ومفتاح دار السعادة. .

- هى أصل الدين وأساسه ورأس أمره، وموقعها فى الدين فوق ما يصفه الواصفون، ويعرفه العارفون.

يقول رب العزة: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عِمرَان: ١٨].

- وهى خلاصة دعوة الرسل أجمعين.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾. [الأنبيَاء: ٢٥].

- وهى القول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة.

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾. [إبراهيم: ٢٧].

- وهى النجاة من النار:

ففى صحيح مسلم أن النبى ﷺ سمع موذنًا يقول:

أشهد ألا إله إلا الله، فقال: «**خرج من النار**». مسلم.

- ليس بينها وبين الله حجاب، بل إنها تخرق الحجب إلى المولى عز وجل:

فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«**ما من عبد يقول لا إله إلا الله مخلصًا بها قلبه إلا فُتحت لها أبواب السماء حتى تفضى إلى العرش ما اجتنبت الكبائر**». الترمذى.

فأكثروا من قول لا إله إلا الله . . .

وأكثروا من ذكر الله . .

فضل الذكر:

١- عن معاذ بن جبل قال رسول الله ﷺ:

«ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها فى درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟».

قالوا: بلى يا رسول الله، قال: **«ذكر الله عز وجل»**. رواه أحمد.

٢- وفى صحيح البخارى من حديث أبى موسى قال رسول الله ﷺ:

«مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه مثل الحى والميت». البخارى.

٣- وذكر الله أفضل من الدعاء، ولهذا جاء فى الحديث:

«من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين».

البخارى فى التاريخ الكبير والبزار فى مسنده والبيهقى فى الشعب.

لأن الله يعلم حاجتك، فإذا شُغلت بذكره أعطاك دون أن تسأل.

٤- وقد حذرنا رسول الله ﷺ من مجالس اللهو والغيبة والنميمة والانغماس فى الدنيا وترك ذكر الله تعالى فقال:

«ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان لهم حسرة». أحمد وأبو داود.

هذا بخلاف من يجلسون لذكر الله تعالى فيقول عنهم المصطفى ﷺ:

«لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى، إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله تعالى فيمن عنده». مسلم.

«وذكرهم الله تعالى فيمن عنده» أى يصبح من مشاهير السماء عند الملائكة

. .

أفضل الذكر: القرآن الكريم:

يقول ﷺ:

«أبشروا، فإن هذا القرآن طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به، فإنكم لن تهلكوا ولن تضلوا بعده أبدًا». الطبرانى وصححه الألبانى.

- ويقول ابن عمر: رضي الله عنهما انطلقت أنا وابن عمير إلى عائشة رضي الله عنها وقلنا: حدثينا بأعجب ما رأيت من رسول الله ﷺ . . . فبكت رضي الله عنها وقالت: والله كان أمره كله عجبًا . . أتانى فى ليلتى وقعد حتى مس جلده جلدى، ثم قام وتوضأ، وقال: «**دعينى أتعبد لربى الليلة . .**» ووقف يصلى ويبكى، حتى ابتلت لحيته . . ثم سجد وبكى حتى ابتلت الأرض بدموعه . . وظل على ذلك حتى أتاه بلال يؤذنه بصلاة الفجر . . فقال: ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال ﷺ:

«وكيف لا أبكى وقد أنزل الله علىَّ الليلة آية، ويل لمن قرأها بلسانه ولم يتدبرها قلبه».

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾. [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

أولو الألباب هم أصحاب العقول البصيرة والأفئدة المستنيرة . . من هم؟.

﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عِمرَان: ١٩١].

وقد فهم بعض الناس من هذه الآية فهمًا مغلوطا بأن الذكر هو حلقات يهتزون فيها يمينًا وشمالًا ويسمون هذا ذكرا . . .

ونقول: لو كان هذا ذكرًا لكان أولى به رسول الله ﷺ . . . فهل ثبت عنه ﷺ شيئًا من هذا؟.

- إن الذكر ليس بهز البدن، لكن الذكر على سبعة أنواع:

- ذكر اللسان: الثناء - وذكر العينين: البكاء - وذكر الأذنين: الإصغاء - وذكر اليدين: العطاء - وذكر البدن: الوفاء - وذكر الروح: الخوف والرجاء - وذكر القلب: التسليم والرضاء.

الخطبة الثانية:

- إن الذكر بلا فكر، ذكر أجوف . . .

فإذا ذكرت ربك بأفضل الذكر، وهو القرآن فلا بد لك من تدبر معانيه.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

- لذلك قيل عن مجالس القرآن: القارئ كالحالب، والسامع كالشارب، كلاهما مشتركان فى الثواب، لكن بشرط حضور القلب عند كليهما . . .

- القارئ يستحضر المعانى، لا يفكر فى المبلغ الذى سيأخذه بعد القراءة، لأن النبى ﷺ قال: «**لا تأكلوا به ولا تغلوا فيه**».

- والمستمع لا بد أن يستمع وهو حاضر العقل والقلب معًا، لأننا نرى العجب: يقرأ القارئ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزُّمَر: ٧١] فيرد أحد الحضور: (اوعدنا يا رب)، هل فهم هذا شيئًا؟.

يقرأ القارئ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠ - ٣٢] فيرد أحد الحضور: (ربنا يزيدك) !!! فبماذا يزيده أكثر من سلسلة سبعين ذراعًا، هل يجعلها ثمانين ذراعًا؟. فأين التدبر وأين التفكر؟.

لا بد من التفكر ...

لقد أُنزلت على رسول الله ﷺ آية جعلته لا يأكل ثلاثة أيام.

﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾. [المزمل: ١٢، ١٣].

الغصة: هى الطعام الذى يقف فى الحلق من شدة مرارته، تخيله رسول الله ﷺ فأعرض عن الطعام ثلاثة أيام.

- لذلك يقول المولى عز وجل:

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٢٠٤ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف].

أى: لا تكن من الغافلين عن ذكر الله.

فاللهم ارزقنا لسانا ذاكرًا وقلبًا شاكرًا وبدنًا على البلاء صابرًا.